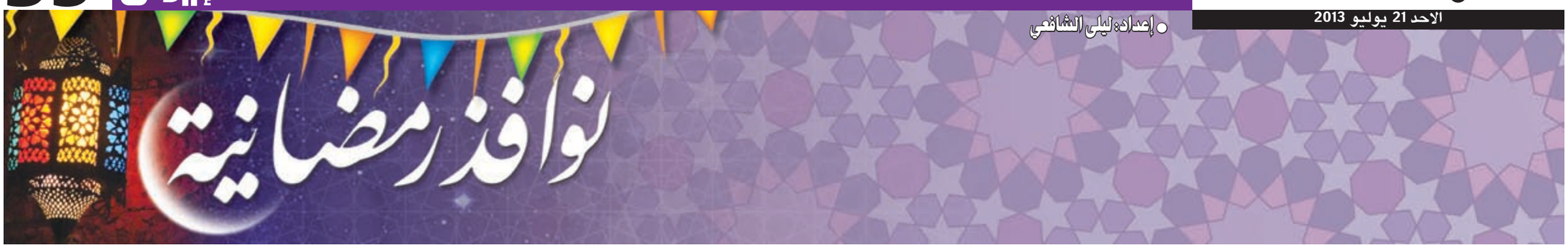

● إعداد: ليلى الشافعي

عودة إلى الله

توبة ثعلبة بن عبدالرحمن

يروي كثير من الخطباء والوعاظ قصة توبة الصحابي الجليل ثعلبة لبيان شدة خوف الصحابة من الله تعالى وعظمة رحمة الله عز وجل بالمقابل، ومضمون هذه الرواية هي: «إن فتى من الأنصار يقال له ثعلبة بن عبدالرحمن أسلم، فكان يخدم النبي ﷺ، بعثه في حاجة، فمر بباب رجل من الأنصار، فرأى امرأة الأنصاري تغتسل، فكرر النظر إليها، وخاف أن ينزل الوحي على رسول الله ﷺ، فخرج هاربا على وجهه، فأتى جبالا بين مكة والمدينة فولجها، ففقده رسول الله ﷺ أربعين يوما، وهي الأيام التي قالوا ودعه ربه وقلى، ثم إن جبريل عليه السلام نزل على رسول الله ﷺ، فقال: يا محمد إن ربك يقرأ عليك السلام ويقول: إن الهارب من أمتك بين هذه الجبال يتعوذ بي من ناري.

فقال رسول الله ﷺ: يا عمر وياسلمان انطلقا فأتياني بثعلبة بن عبدالرحمن، فخرجا في أنقاب المدينة، فلقيهما راع من رعاة المدينة يقال له: ذفافة.

فقال له عمر: يا ذفافة هل لك علم بشاب بين هذه الجبال؟ فقال له ذفافة لعلك تريد الهارب من جهنم؟ فقال له عمر: وما علمك أنه هارب من جهنم؟ قال: لأنه إذا كان جوف الليل خرج علينا من هذه الجبال واضعا يده على رأسه وهو يقول: يا ليتك قبضت روحي في الأرواح، وجسدي في الأجساد، ولم تجردني لفصل القضاء. قال عمر: إياه نريد.

قال: فانطلق بهم ذفافة، فلما كان في جوف الليل خرج عليهم من بين تلك الجبال واضعا يده على أم رأسه وهو يقول: يا ليتك قبضت روحي في الأرواح، وجسدي في الأجساد، ولم تجردني لفصل القضاء.

قال: فعدا عليه عمر فاحتضنه فقال: الأمان الخلاص من النار. فقال له عمر: أنا عمر بن الخطاب.

فقال: يا عمر هل علم رسول الله ﷺ بذنبي؟ قال: لا علم لي إلا أنه ذكرك بالأمس فبكى رسول الله ﷺ.

يا عمر لا تدخلني عليه إلا وهو يصلي، وبلال يقول: قد قامت الصلاة. قال: أفعل.

فأقبلا به إلى المدينة، فوافقوا رسول الله ﷺ وهو في صلاة الغداة، فبدر عمر وسلمان الصف، فما سمع قراءة رسول الله ﷺ حتى خر مغشيا عليه، فلما سلم رسول الله ﷺ قال: يا عمر ويا سلمان ما فعل ثعلبة بن عبدالرحمن؟ قالا: هو ذا يا رسول الله.

فقام رسول الله ﷺ قائما فقال: ثعلبة قال: لبيك يا رسول الله فنظر إليه فقال: ما غيبك عني؟ قال: ذنبي يا رسول الله.

قال: أفلا أدلك على آية تكفر الذنوب والخطايا؟ قال: بلى يا رسول الله قال: قل: (اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار).

قال: ذنبي أعظم يا رسول الله فقال رسول الله ﷺ: بل كلام الله أعظم. ثم أمره رسول الله ﷺ بالانصراف إلى منزله.

فمرض ثمانية أيام، فجاء سلمان إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله هل لك في ثعلبة نأته لما به؟ فقال رسول الله ﷺ: قوموا بنا إليه.

فلما دخل عليه أخذ رسول الله ﷺ رأسه فوضعه في حجره، فأزال رأسه عن حجر رسول الله ﷺ.

فقال له رسول الله ﷺ: لم أزلت رأسك عن حجري؟ قال: إنه من الذنوب ملآن.

قال: ما تجد؟ قال: أجد مثل دبيب النمل بين جلدي وعظمي. قال: فما تشتهي؟ قال: مغفرة ربي.

قال: فنزل جبريل عليه السلام على رسول الله ﷺ فقال: إن ربك يقرأ عليك السلام ويقول: لو أن عبدي هذا لقيني بقراب الأرض خطيئة لقيته بقرابها مغفرة. فقال له رسول الله ﷺ: أفلا أعلمه ذلك؟ قال: بلى. فأعلمه رسول الله ﷺ بذلك. فصاح صيحة فمات. فأمر رسول الله ﷺ بغسله وكفنه وصلى عليه، فجعل رسول الله ﷺ يمشي على أطراف أنامله، فقالوا: يا رسول الله رأيناك تمشي على أطراف أناملك؟ قال: والذي بعثني بالحق نبيا ما قدرت أن أضع رجلي على الأرض من كثرة أجنحة من نزل لتشييعه من الملائكة.

الرجال مواقف

حجر بن عدي الكندي الشجاع الذي قتل بسبب رأيه وغضب لقتله أهل السماء

عظمة هذا الصحابي الجليل في انه كان من أشجع فرسان المسلمين قلبا ولسانا.. إذا نادى منادي الجهاد سارع الى المعركة، وخاض أهوالها، وأتى من أعمال البطولة والفداء ما يشبه الأساطير.. وإذا عرض موقف يتطلب الفصل فيه برأي شجاع، صدع بكلمة الحق دون مواربة أو مواراة، حتي ولو علم ان فيها حتفه ومصرعه.. على حد السيف.. ولهذا كان مهيب الجانب، لا يضمه مجلس إلا وكان مسموع الكلمة، جليل المكانة، مما جعل الكثير من أهل الكوفة يتخذون منه زعيما، لأنه أشدهم جرأة في الحق، وأسرعهم الى المجاهرة بالكلمة الصادقة. وكان الى جانب هذا صواما قواما حاجا معتمرا، إذا صلى يطيل في الصلاة، وترتعد فرائصه من خشية الله وكأنه قادم على الموت في التو واللحظة، ومقبل على نشر صحائفه وحسابه بين يدي الله عز وجل.

وكان حجر بن عدي الكندي أسلم هو وأخوه هانئ على يدي رسول ﷺ ولم يكن إلا متوضئا على الدوام.. إذا أحدث توضأ وصلى ركعتين، كما كان بارا بأمه، زاهدا في متاعها، مع انه سليل بيت من أشراف كندة وسراتهم، وقد كان له في معركة القادسية موقف سيظل يضعه التاريخ في أعلى ذروة من ذرى الشجاعة، ذلك ان المسلمين بعد ان هزموا الفرس في حرب الأيام الأربعة التي سبقت الاستيلاء على المدائن عاصمة كسرى كان عليهم ان يعبروا نهر دجلة دون ان تكون لديهم سفن، وكان الفرس رابضين بسفنهم في الشاطئ الآخر لا يتصورون ان المسلمين سيعبرون اليهم لأن في عملية العبور مغامرة محفوفة بالأخطار. غير انه عندما نادى سعد بن أبي وقاص وكان قائد الجيش من منكم يعبر الى الأعاجم هذه المخاضة، يعني دجلة، تقدم حجر بن عدي بفرسه، وتلا قوله تعالى: (وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا).. ثم اقتحم النهر، واقتحم وراءه المسلمون.. والأعاجم في ذهول مما يرون، ويصيحون، ديوانا.. ديوانا.. أي مجانين.. مجانين! وقالوا: والله ما نقاتل إنسا.. بل نقاتل جنا.. ودفعوا بفرسان منهم في الماء ليمنعوا وصول المسلمين، ويحبطوا عملية العبور.. ولكن المسلمين كانوا أشد بأسا.. فهزموا الأعاجم في النهر.. كما هزموهم في البر.

وعلى طريق الجهاد يمضي حجر الكندي فيفتح برج عذراء بالشام ويشهد مع الإمام علي بن أبي طالب موقعتي الجمل وصفين، ويبدي من ضروب الشجاعة ما جعل اسمه يتردد على كل لسان في إعجاب وإجلال.

وبعد ان استشهد الإمام علي في الكوفة، وأصبحت مقاليد أمور المسلمين في يدي معاوية بن أبي سفيان وبني أمية لم يتوقف حجر بن عدي عن الجهاد ولكن بالرأي الجهير، وكلمة الحق التي كانت تتلجلج على ألسنة الناس، خوفا من الحكم الباطش، والمحاكمات الظالمة، وكان المغيرة بن شعبة والي الكوفة، فكان إذا ذكر الإمام علي تنقص من قدره، ما أثار حفيظة عدي عليه، فقال له يوما، وهو يخطب على المنبر: أيها الإنسان. مر لنا بأرزاقنا وأعطياتنا فإنك قد حبستها عنا، وليس ذلك لك، ولم يكن يطمع في ذلك من كان قبلك.. وقد أصبحت مولعا بذم أمير المؤمنين. عندئذ قام ثلثا من بالمسجد وقالوا: صدق والله حجر وبر.. مر لنا بأرزاقنا وأعطياتنا، فإنا لا ننتفع بقولك هذا، ولا يجدي علينا شيئا. نزل المغيرة عن المنبر ودخل قصر الإمارة، ودخل معه جمهور الأمراء، وأشاروا عيه بردع حجر، فقال انني قد اقترب أجلي وضعف عملي، ولا أحب ان ابتدئ هذا المصر بقتل خيارهم، وسفك دمائهم، فيعز في الدنيا معاوية، ويذل يوم القيامة المغيرة.. ولكني قابل من مسيئهم، وعاف عن سيئهم، وواعظ سفيههم حتي يفرق بيني وبينهم الموت.

كانت الفترة التي تولى فيها المغيرة أمر المسلمين بالكوفة 10 سنوات، من سنة إحدى وأربعين الى سنة إحدى وخمسين هجرية، ثم توفي، وجمع أمر الكوفة والبصرة لزياد بن أبي سفيان وكانت أول خطبة لزياد بالكوفة تتضمن فضل عثمان بن عفان وذم من قتله أو أعان على قتله، فقام حجر كما كان يقوم في أيام المغيرة، وتكلم منتقدا مهاجما سياسة بني أمية.. فلم يرد زياد عليه، ولكنه أراد ان يأخذه معه الى البصرة، حتى لا يثير الناس في الكوفة على بني أمية، إلا ان حجر بن عدي اعتذر بأنه مريض.. ورفض ان يغادر الكوفة.

أناب زياد بن أبي سفيان عمرو بن حريث على الكوفة، وعاد الى البصرة، ولكن ابن حريث لم ينعم بالهدوء والاستقرار لأن حجر بن عدي كان لا يكف عن مهاجمة سياسة الأمويين، ما جعل ابن حريث يبعث الى زياد يطلب منه الحضور الى الكوفة.. وبالفعل حضر على عجل، وأخذ صورة كاملة عن الموقف المتأزم، فلم يعد حجر بن عدي هو وحده الذي يعلن رفضه لسياسة بني أمية، وانما انحاز اليه الكثيرون من أهل الكوفة يرون رأيه، ويؤازرون اتجاهه، وهنا حاول زياد بالتهديد والوعيد ان يعيد الهدوء الى الكوفة، إلا انه أخفق تماما مما دفعه الى الاستعانة بمعاوية ليستطلع رأيه، وكان رأي معاوية ان يقوم زياد بالقبض على عدي ويرسله اليه في الشام، وان يقبض أيضا على أعوانه، حتى تدفن المعارضة الى الأبد.

تم القبض على حجر وأعوانه بعد مقاومة عنيفة، وأرسلوهم الى مرج عذراء المكان الذي افتتحه حجر وهناك علم حجر وأعوانه ان زيادا أشهد عليهم عددا من أهل الكوفة بأنهم يسبون الخليفة، وان الخليفة أمر بقتلهم.. وحين حانت لحظة تنفيذ الحكم قال حجر: دعوني أتوضأ وأصلي ركعتين، ثم صلي ركعتين خفيفتين.. وقال: والله ما صليت صلاة قط أقصر منها.. ولوا ان تروا ان مابي جزع من الموت لأحببت ان استكثر منها.. ثم قال: اللهم إنا نستعديك على أمتنا.. فإن أهل الكوفة شهدوا علينا، وإن أهل الشام يقتلوننا.

ولما تقدم منه السياف ليقتله، ارتعدت خصائل شعره، فقال له: زعمت انك لا تجزع من الموت! فقال: كيف لا أجزع، وأنا أرى قبرا محفورا، وكفنا منشورا، وسيفا مشهورا!. وكان رجال معاوية قد حفروا قبور الذين تقرر قتلهم وأحضروا أكفانهم.. ثم قتلوا حجرا وخمسة آخرين!

أحدث قتل حجر ضجة في الجزيرة العربية، وقوبل نبأ قتله بالحزن الشديد، حتى ان ابن عمر أخذ ينتحب بصوت عال.. كما ان السيدة عائشة كانت قد حاولت منع قتل حجر، وذلك بأن أرسلت رسولا الى معاوية يطلب اليه العفو عنه، فوصل الرسول بعد عملية القتل.

ولكن السيدة عائشة لم تنس هذا الحادث الأليم.. فعندما ذهب معاوية لأداء فريضة الحج، واستأذن على السيدة عائشة لزيارتها أذنت له، وراحت توجه إليه لوما شديدا على ما فعل بحجر، وتقول له: إنني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يقتل بعدي أناس يغضب الله لهم وأهل السماء».

وحين حضرت معاوية الوفاة كان يردد وهو يحتضر: يومي طويل مع حجر عند الحساب.. وقد دفن حجر في ثيابه التي قتل فيها ولم يغسل دمه تلبية لرغبته.. وغضب لقتله أهل السماء، كما أخبر بذلك الرسول ﷺ.

روائع القصص

النبي حزقيل عليه السلام

قال الله تعالى: (ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون)، قال محمد بن إسحاق عن وهب بن منبه: إن كالب بن يوفنا لما قبضه الله إليه بعد يوشع خلف في بني إسرائيل حزقيل بن بوذى، وهو ابن العجوز وهو الذي دعا للقوم الذين ذكرهم الله في كتابه فيما بلغنا وقال ابن إسحاق: فروا من الوباء، فنزلوا بصعيد من الأرض فقال لهم الله موتوا فماتوا جميعا فحظروا عليهم حظيرة دون السباع فمضت عليهم دهور طويلة فمر بهم حزقيل عليه السلام فوقف عليهم متفكرا فقيل له: أتحب أن يبعثهم الله وأنت تنظر؟ فقال: نعم، فأمر أن يدعو تلك العظام أن تكتسي لحما وأن يتصل العصب بعضه ببعض فإذا هم عن أمر الله له بذلك، فقام القوم أجمعون وكبروا تكبيرة رجل واحد. وعن ابن عباس قال كانت قرية يقال لها داوردان قبل واسط وقع بها الطاعون فهرب عامة أهلها فنزلوا ناحية منها فهلك من بقي في القرية وسلم الآخرون فلم يمت منهم كثير فلما ارتفع الطاعون رجعوا سالمين فقال الذين بقوا: أصحابنا هؤلاء كانوا أحزم منا لو صنعنا كما صنعوا بقينا ولئن وقع الطاعون ثانية لنخرجن معهم فوقع فيهم مرة اخرى فهربوا وهم بضعة وثلاثون ألفا حتى نزلوا ذلك المكان وهو واد أفيح، فناداهم ملك من أسفل الوادي وآخر من أعلاه أن موتوا فماتوا، حتى إذا هلكوا وبقيت أجسادهم، ومر بهم نبي يقال له حزقيل، فلما رآهم وقف عليهم فجعل يتفكر فيهم ويلوي شدقيه وأصابعه فأوحى الله إليه تريد أن أريك كيف أحييهم؟ قال: نعم، وإنما كان تفكره أنه تعجب من قدرة الله عليهم، فقيل له ناد فنادى أيتها العظام ان الله يأمرك أن تكتسي لحما فاكتست لحما ودما وثيابها التي ماتت فيها، ثم قيل له ناد فنادى أيتها الأجساد إن الله يأمرك أن تقومي، فقاموا، قال أسباط: فزعم منصور عن مجاهد أنهم قالوا حين أحيوا سبحانك الله وبحمدك لا إله إلا أنت فرجعوا إلى قومهم أحياء يعرفون أنهم كانوا موتى سحنة الموت على وجوههم لا يلبسون ثوبا إلا عاد رسما حتى ماتوا لآجالهم التي كتبت لهم وكانوا أربعة آلاف، وقال ابن جريج عن عطاء: هذا مثل يعني أنه سيق مثلا مبينا أنه لن يغني حذر من قدر.

ذنوب كبيرة

قذف المحصنات

قال الله تعالى: (ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم)، وقال تعالى في سورة النور: (والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا واولئك هم الفاسقون)، وقد بين الله سبحانه وتعالى في الآية ان من قذف امرأة محصنة حرة عفيفة بالزنا او الفاحشة فإنه ملعون في الدنيا والآخرة، وله عذاب عظيم وعليه في الدنيا الحد ثمانون جلدة، وتسقط شهادته وان كان عدلا، وفي الصحيحين ان رسول الله ﷺ قال: اجتنبوا الموبقات السبع، فذكر منها قذف المحصنات الغافلات المؤمنات، والقذف يكون لامرأة اجنبية حرة عفيفة مسلمة بان قال لها يا زانية او يا باغية، او لزوجها مثل يا زوج الزانية او لابنها وجب عليه الجلد ثمانين جلدة الا ان يقيم بينة بذلك، ويشير الى ان البينة كما قال الله اربعة شهداء يشهدون على صدقه فيما قذف به تلك المرأة او ذاك الرجل فإن لم يقم بينة جلد اذا طالبته بذلك التي قذفها.

رسائل الرسول

كتاب رسول الله ﷺ إلى جيفر وعبدٍ ابني الجلندي ملكي عُمان (2ـ2)

عمرو: بلى. قال: بأي شيء علمت ذلك؟

عمرو: كان النجاشي يخرج له خرجا، فلما أسلم وصدّق بمحمد ﷺ قال: لا والله لو سألني درهما واحدا ما أعطيته، فبلغ هرقل قوله.

فقال له نياق أخوه: أتدع عبدك لا يخرج خرجا ويدين دينا محدثا؟!

قال هرقل: رجل رغب في دين واختاره لنفسه ما أصنع به؟! والله لولا الضن بملكي لصنعت كما صنع.

قال: انظر ما تقول يا عمرو.

عمرو: والله صدقتك. قال عبد: فأخبرني ما الذي يأمر به وينهى عنه.

عمرو: يأمر بطاعة الله عز وجل، وينهى عن معصيته، ويأمر بالبر وصلة الرحم، وينهى عن الظلم والعدوان وعن الزنا وشرب الخمر وعبادة الحجر والوثن والصليب.

قال عبد: ما أحسن هذا الذي يدعو إليه، لو كان أخي يتابعني لركبنا حتى نؤمن بمحمد ونصدق به، ولكن أخي أضن بملكه من أن يدعه.

عمرو: إنه إن أسلم ملكه رسول الله ﷺ على قومه فأخذ الصدقة من غنيهم فردها على فقيرهم.

قال: إن هذا الخلق حسن، وما الصدقة؟

فأخبره عمرو بما فرض رسول الله ﷺ على قومه فأخذ الصدقة من غنيهم فردها على فقيرهم.

قال: إن هذا لخلق حسن، وما الصدقة؟

فأخبره عمرو بما فرض رسول الله ﷺ من الصدقات في الأموال حتى انتهى الى الإبل.

قال عمرو بن العاص ﷺ: فمكثت بباب جيفر أياما، وعبد يعبر فيخبره كل خبري، ثم إنه دعاني يوما فدخلت عليه، فأخذ أعوانه (بعضدي) فقال: دعوه. فأُرسلت. فهذبت لأجلس فأبوا أن يدعوني أجلس فنظرت إليه. فقال: تكلم بحاجتك. فدفعت إليه الكتاب مختوما ففض خاتمه.

الكتاب

(بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد بن عبد الله إلى جيفر وعبد ابني الجلندي سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوكما بدعاية الإسلام، أسلما تسلما فإني رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين، وإنكما إن أقررتما بالإسلام وليتكما، وإن أبيتما أن تقرا بالإسلام فإن ملككما زائل عنكما، وخيلي تحل بساحتكما وتظهر نبوتي على ملككما) قال عمرو رضي الله عنه: فلما قرأ جيفر كتاب رسول الله ﷺ دفعه الى أخيه فقرأه مثلما قرأه، إلا أني رأيت أخاه أرق منه، ثم قال: ألا تخبرني عن قريش كيف صنعت؟

فقلت: اتبعوه إما راغب في الدين، وإما مقهور بالسيف.

قال: ومن تبعه؟ قلت: الناس قد رغبوا في الإسلام واختاروه على غيره، وعرفوا بعقولهم مع هدي الله إياهم إنهم كانوا في ضلال فما أعلم أحدا بقي غيرك في هذه الحرجة (أي الإثم) وأنت إن لم تسلم اليوم وتتبعه تطؤك الخيل وتبيد خضراءك، فأسلم تسلم ويستعملك على قومك ولا تدخل عليك الخيل والرجال.

قال جيفر: دعني يومي هذا وارجع لي غدا. فرجع عمرو الى أخيه عبد فقال: يا عمرو إني لأرجو أن يُسلم إن لم يضن بملكه.

قال عمرو: حتى إذا كان الغد أتيت جيفر فأبى أن يأذن لي، فانصرفت الى أخيه فأخبرته بأني لم أصل إليه، فأوصلني إليه.

فقال: إني فكرت فيما دعوتني إليه، فإذا أنا أضعف العرب إن ملكت رجلا ما في يدي، وهو لا تبلغ خيله ههنا، وإن بلغت خيله ألفت قتالا ليس كقتال من لاقى.

قال عمرو: وأنا خارج غدا.

فلما أيقن جيفر بمخرج عمرو، خلا به أخوه فقال: ما نحن فيما قد ظهر عليه وكل من أرسل إليه قد أجابه.

فلما أصبح أرسل الى عمرو فأجاب إلى الإسلام هو وأخيه جميعا وصدق النبي ﷺ، وخليا بين عمرو و الصدقة والحكم فيما بينهم، فكانا لعمرو عونا على من خالفه.

● الشيخ سيد الرفاعي